حسن عبدالله القرشي

زخارف فوق أطلال عصر المجون



دار العودة - بيروت

زخارف فوق
أطلال عصر المجون

حسن عبد الله القرشي

زخارف فوق أطلال عصر المجون

دار العودة - بيروت

الإهداء

إلى ابني أسامة

فارساً من جيل الغد

منذوراً لمعركة الحياة !!

القرشي

الطبعة الأولى ١٩٧٩/٩/١
يطلب من دار العودة ـ بيروت كورنيش
المزرعة عمارة الرفييرا سنتر

عندما تتقصف الخيام !!

بواديكِ أقطعُ كلَّ الفيافي
وأمشِي على دَرْب كلِّ الصواعِقِ ، كلِّ الرعود
تَخبرتُ المَنافى
كم احتضنتني البراكينُ
كم جرَّبتني العواصفُ
كم هَدْهَدتْ قدَميَّ القيود
حجازيةَ الدمعِ
يا ريحَ أشرِعتي أنتِ

يا فجوةً للزلازلِ ترتطِمُ الرُّوحُ فيها
وتجري نثاراتِ حبٍ عنيد !

* * *

كأمسٍ انتفضْنا معاً
ثم ذُبنا معاً في مَسارِ القوافلِ
في عَصَبِ الريحِ
في تمتَمات ظلالِ الخريفْ
وأيقنتُ أنّي جسرٌ من الحُزْن
لن تقطعَ الجسرَ
لن تركبَ الموجَ
من أرهقتْها الرُّؤى والطُّيوف ؟

حذارِ .. هتفتُ
وأشفقتُ .. في الفم ِملْحٌ
وفي الصدر شوكٌ
وطَرْفي رَمادْ
وأنت تسيرين يرهقك الأيْنْ
والطيبُ منسكبُ الفَوْحِ ، يغمرُ وجهَ الوِهادْ
حجازيّةَ الشوقِ
تذبحني لهفةٌ في المَحيّا
ويفجؤني نبضُ نَهْدٍ لَعوبٍ
ويلجمني السرُّ والذكرياتْ !

* * *

وأبصرتُ كلَّ الخيام عَطَاشىَ

ملاعبُ خيل الزّمان تبدّت لعيني طُلولاً
وأوديَةُ الخِصْب قفراً كئيباً
وهودجُك الشاردُ المترنّحُ يلطِمهُ التيه
ولا موئلٌ للعشيّاتِ
والياسمينُ مدلّىً حَسير
حجازيةَ الومضة المستبدّة
أطيافُكِ الغرُّ نهْرٌ من العِطْرِ
مترعةٌ للدوالي
تلالٌ من الصَّندل المشرئبِّ
مجامرُ للمندلِ الرّطبِ
آنيةُ الأقحوانِ الفَريد !

* * *

حِجازية الهمس بُحَّ الصَّدى في مَسار النجومْ
وَيَجْرحُ ليلىَ دَوْماً نداكَ مُعَنَّى
ويَنطفِىءُ النَّغَم الحُلْوُ ثم تلوحينَ في رَدَهاتِ الأسى
تُطْعمينَ جراحيَ نُوراً ، ونَاراً
عشقْتُكِ وَالكونُ ما زَال طِفْلا
وشبَّابةُ القَلْبِ سَكرَى انتصارٍ
ورنَّحَني العِشْقُ ، والقَلبُ أعشى ضَريرْ
فَمَن أنتِ ؟ من أنتِ ؟
فيم تَلوحينَ في خاطِري كل حِينٍ
ففي مُلتَقَى الفجر أنتِ
وفي ثَبَج البحرِ جَوْهرتي
وعلى مَرْفأ الشمس شَمْسٌ تُريقُ الضِّياءْ

وأنّى التفَتُّ أراكِ
أرَى زَهْرةَ الياسمينْ !

* * *

حجازيةَ الدمع
أخضرُ دمعُكِ
يَنسابُ في رئتي .. يستبدُّ لُهاثاً
ويفرشُ كالظِّلِّ أهدابَه
يتوغَّلُ في خاطِري لَهَباً أحمراً
وسراباً بديدْ
لمَاذا تَفرُّ طيورُ المُنى من حَديقتِنا ؟
يَستحيلُ الهديلُ نعيباً ؟
لماذا يرافِقُنا شَجَرُ القحطِ والمَحْلِ

في كلِّ دربٍ ؟
وينزرعُ الشوكُ في أرض غابتنا وحدَها ؟
وتزأرُ كلُّ وحوشُ الفلاةِ بأسماعِنا
لماذا نخافُ ؟ نذلُّ ؟ نضيعُ ؟
وفي كفِّنا سيفُه (ابن الوليد) ؟ !

رسالة من شجر النخل المسافر

الى ارواح شهداء المقاومة : النجار ، وناصر ، وعدوان

— ١ —

عَبر تلالِ الصمتِ
عبر مصرعِ الحقيقةِ المغتربة
عبر ظلال الفجر
أطفأ الطغاة
أنوارَ مرفئي القديم
وأغرقوا قواربَ النجاة

وعذّبوا الرياح
ولم أزل أعيشُ في الغيوم
أمتصُّ من شراييني دمي
أقترض البسمة من شفاه السافرين
أُصغي إلى النباح
يشق ليل الضائعين ، التائهين
أرنو إلى مجزرة الملاك
في سِجنه الرهيب
أرنو إلى الشمس
تحوطها الشباك
ألفظه فتات آمالي
أدوسه عُشبَ الخيانات

وذلَّ الخائنين ، الغادرين !

— ٢ —

إلى المزايدينَ والمهرجين
إلى المرابينَ
وخاطفي الفرحةَ من عيونِ الكادحين
إلى الرماد في نفوس الحاقدين
لكل رأسٍ في زواياه وجوهٌ أربعة
لكل ذي مجمرةٍ ، وصومعة
أعلنت إفلاسي
كشفت أوراقيَ
أحرقتُ حصون الزوبعة

وسرت في متاهة الجحيم
أنا المحاربَ القَديمْ
أغمدت سيفيَ العتيقَ
في خاصرتي
ثقبتُ مليون محَارة
فتشتُ في مَحاجرِ البوم
تتبعتُ مسيرة الجِرذان في الشقوقِ
والثقوبِ
أهرقت صدى ذكرايَ
لم أجده فجري اليتيم
ضاع الصدى
وضاع فجريَ اليتيم !

— ٣ —

بعد انحسار العتمِ
بعد غيبة الدخان والضباب
وجدتها كديمة السحاب
وجدتها خصيبةً نديّة
كالعطر في زوايا الغاب
وجدتها
رسالةً من شجر النخلِ المسافر
من شجر النخل المُهاجرِ
الذي غادر نهرنا الكئيب
يساقط الثمارَ
رغم رحلةِ المغيب

رسالةً من النجيع العابق الحبيب
خلف التخوم خلف مسربِ الغيوب
رسالة من برزخ العمالقة
من رُوح كل صاعقٍ ، وصاعقة
... لا تغلقوا الدروب
لا تحذروا تساقطَ الذباب في الغروب
لن يقطع الجذورِ ذلك الذباب
لن يقتل الأشواق في الصدورِ
والوجيبَ في القلوب
لا تحذروا
فخلف كلٍّ باب
جذعٌ من النخيل

يا أخوتي
جذع من النخيل
غصنٌ من العذاب
حرفتنا نحن المخربينَ للعدوِّ نصنع الحراب
أوردةُ الغزاة وحدها
شقَّقها الغزاة
قطَّعها الطغاة
مزَّقها الوالغون في الدماءِ
صانعوا المأساة
ما بَرِحوا في المصيدة
ما برحوا ضمن حدودنا الغاضبة المتقدة
لم ينحرونا نحنُ ..

كيف ؟
همْ .. همُ المنتحرون
الماردُ الذي انحنى
يعود ، ينتصبْ
يعود ينفثُ اللهبْ
فليشرعوا صواعقَ (الفانتوم)
وليحرقوا الأزهارَ والكروم
وليزرعوا الحقول بالرصاص
وليدرزوا السفوح بالألغام والسموم
وليعبروا خليج شطِّ العربِ
أو خليج بحر الروم
فإنهم مغتربون ، طارئون

مهما أقاموا سوف يرحلون
مهما ابتدوا فسوف ينتهون
مهما عتوا فسوف يهزمون
نحن على موعدنا القديم
لسوف يرجمون في (سَدوم)
ويطعَمونَ المهل و (الزقوم) .. !

الشاعر

هدأ الكونُ وأشجاه الظلامُ
ملَكٌ يسهر ، والناسُ نيامُ

غارقٌ في لججِ الفكرِ شجٍ
زارعٌ ، والزرع يجنيه الطغامُ

ضاحكٌ باكٍ معاً ، كم يغتلي
بمآسيه ، فيعييهِ الكلامُ

راعشُ القلب، وفي القلب جوًى
حائر، من صولة الغدرِ مُضامُ

خافض الرأس، وكم يثقلُه
أن يرى الأحلامَ يعلوها قتامُ

صحب الناس على شرَّتهم
وتناءى حين أعياه السقامُ

يحمل الوَردَ إلى داراتهم
فيباديه عقوق واتِّهامُ

ويريقُ الشَّهْدَ في أكوابهم
وحَصادُ الشَّهْدِ ذلٌّ وملامُ

أوسعُوه ألمَاً وهو الذي
عاش يأسو الجرحَ والدَّاءُ عقام

يا له من عاشقٍ ، مغتربٍ
في رُبىً ملء حواشيها الضِّرامُ !

* * *

قد تغنَّى ، بأمانٍ ثرَّةٍ
أين من ناديهِ آمالٌ جِسامُ ؟

عبثَ الباغون بالحقّ فما
عادَ حقّاً ، ما يغطِّيه أثامُ

الأُلى قد شوّهوا العصرَ هوًى
جاهليُّون ، مرابونَ ، لئامُ

سخروا من قَبَسِ الشمسِ فهم
كنعامٍ ، عاد يحميه الرّغامُ

إدّعوها مدنيّات ، وما
هي إلاّ همجيّاتٌ حُطامُ

الدمُ الحرُّ شرابٌ سائغٌ
والحواريُّون أقْنانٌ تسامُ

والمنادُونَ بحــريّاتِهم
شرّدوا في وَضحِ الصبحِ فهاموا

والمراؤون هُمُ الأعْلى جَدًى
والأبيُّون رعاعٌ ، وسَوامُ

أيُّها الشاعر فاحبسْ جوهراً
لم يعدْ للجوهر الفذِّ مقامُ

ليس للشعر رَواجٌ في دُنىً
ملؤها حربٌ ، وحقدٌ ، وانتقامُ

إيه لا تُهرقْ دمَ القلب سُدًى
فالدِّماءُ الشاعريّاتُ حرامُ !

بيروت في قبضة الظلام !!

يا شجرَ النخلِ المتساقطِ حولَ النهر
عذراً يا شجرَ النخل
يا موْجَ البحرِ المتمرِّدِ تحتَ الصخر
شكراً يا موجَ البحر.
تنشطرُ الأحلامُ على شفرةِ سكين
المأساةُ الكبرى ما زالتْ حُبلى بالتنّين.

ونضارُ حضارةِ شرقي المسكين
قد ذُرَّ رماداً تحتَ سياطِ المخمورين

قد ضاعَ حُطاماً في مقبرةِ المسحوقين
إنقشعتْ كلُّ براقعِ همجيّاتِ العصر

وتمطّى شيطانُ العُهْرِ وطاغوتُ القهر
سألوا وأجابوا لم أفهم أبداً أيَّ سؤالٍ أيَّ جواب

أسرابُ (الدراكولا) تقتحمُ الأبواب
أشباهُ الخصيانِ وأذنابُ الأذناب

قد برزَتْ من فُرجَ الغاب
عطشى ، عاريةً من كلِّ الأثواب

هجمتْ أظفاراً تنهشُ في المَرْجِ وأنيابْ !

* * *

أنكرتُكِ أمسِ أنا أنكرتكِ يا (بيروت)
أنكرتُ عروسَ الفجر عجوزاً في التّابوت

أنكرتُ قصيدةَ (هوميروس)
سقطتْ أزهارُ الأشجارِ

وأشواكُ الصبّار
وذابت أوراقك يا (توتْ)

وبدت عوراتُكِ ما أقبحَ أن تبدو العورات
ما أفظعَ أن يجري الدمُ مجّاناً في كلِّ الساحات

أنهاراً في طُرق الغادات
أنكرتُ الخوفَ يزغردُ في كلِّ الأوقات
ما آلمَ أن يوصمَ بالوحشيّة أرزكَ يا (لبنان)
ما أجبنَ أن يتعدّدَ (نيرونُو) القرنِ العشرين
ما أشأمَ أن تتناحر فيك الأديان
أن يعبثَ مجنونٌ بصنوبرك المُزْدان
أن تُعبدَ في أرضكَ بعد اللهِ الأوثان !

* * *

لَهفي ، قد ضاعَ صداحُك هدْراً يا (فَيروزْ)
ثقبُوا الطنبورَ الحالمَ ، والأرغولَ
أراقوا ماءَ الكوزْ

نفقَتْ أحصنةُ القَدِّيسين
وَهوَتْ أشجاركَ يا (زيتون) !

* * *

عجباً ، واعجباً ! هل تحمي الأخوةَ من إخوتهم (إسرائيل) ؟
تلك العربيدةُ من تحلمُ بفُراتِ المجد ، ومن تحلمُ بالنيل
مهدِرةُ القيمِ ، ممزِّقةُ القرآنِ ، ومحرقةُ الانجيل !

* * *

يا حُلم الغد يا من نسي اسمَكَ ليلُ الموتورين
يا مهوَى أفئدةِ الأطهارِ الصدِّيقين
يا من تُدْعى بـ (فلسطين) !

باعوكِ جميعاً كلُّ سماسرةِ القرنِ العشرين
باعُوا (الإنجيلَ) مع (القرآن) وشَقّوْا ثوبَ صلاحِ الدّين
قبضوا ثمنَك جُبْناً ، ونخاسات ، وديُون
وهوَوْا أحذيةً تمسحُ أرصفةَ المُختالين
يا منبعَ أحلامِ المقهورينَ
ويا فجرَ المكروبين
يا صخرتَنا الصُّلبةَ رغمَ مطارقِ كلِّ المشبوهين
موعدُنا بعد نهايةِ عصرِ التِنّين
بعدِ وِلادةِ فجر (فِلسطين)
من بعدِ (سنينٍ) ، أو من بعد (قرون) !

عندما ينكسر الحلم !!

أُحسُّ الملوحةَ في شفةِ الشمس
ما زال في فمي الملحُ والنار
ما زلتُ حرّان لم أرتفقْ

* * *

وما زلتُ أعبر جسرَ المسافات

مُنزلقاً في حوافر خيل الملائك
أسأل مجمرتي حائراً عن مسارِ العبق

* * *

ونهرُ الشعاع الذي انداح من غرة الفجرِ
يغمر دُنيا الكآبة
وانشقَّ من كبدِ الأفق
قد ذابَ
في ترّهاتِ الشّفَق

* * *

أحسُّ الملوحةَ

أنسى انتمائيَ لليل
ينحسرُ الحلم
ينكسر السيف في الغمدِ
تعرى البحيرةُ
تسدُر كلُّ الظنون

* * *

تُحاصرني أعينُ المتبعينَ الحيارَى
تجلِّلني بقتامِ المآسي الكبار
تجلدني عارياً في النَّهار
ضعيفاً على القيدِ

تسحقني قبضةُ اليأس
يلفظني موكبُ الساخرين !

* * *

وتجهشُ في خافقي النار
أصرخ ألتاع وحدي
أشرُد في صخب الغاب وحدي
أمشي على الماءِ مَشْيَ الطعين !

* * *

رضعناه تيهاً وقهراً
مضغناه جمراً

ولما نزلْ رهن مفترق الغيب
عشنا ظلال الكآبة
لما يزل طيفُها
سُجُفاً تتحدّى !

* * *

أكادُ ، أكادُ أرى
بركاتِ السحائبِ
عطرَ السماوات
أشرعةَ الخصبِ
تمضي غُباراً

وترسُمُ لَحدْا !

* * *

متى يورقُ الصَّخرُ ؟
يخضلُّ وادي المروءاتِ بالفجر ؟
يركضُ ظلُّ الحدائق ؟
ينسكبُ الرمْلُ عُشْباً ؟
ويندى ؟ !

رحلة الدم الأصفر !!

— ١ —

الدّمُ الأرجُوانْ
أصفراً عادَ في رحلةِ اللاّمكان

والزّمانُ الجبان
والصّعاليكُ في سَحَبات الدُّخان

في ظلالِ الأباطيلِ في ضَجّةِ المِهْرَجان

تَامَتها الصَّوجان
وطيوفُ الصَّبايا الحِسَان
والمَرايا التي أَزْهرتْ بالجُمَان
غرقتْ في بَقايا الدِّنان

والخيولُ التي صَهَلتْ في الرِّهان
كم تَسَامتْ على شُرُفات الأمَان
وانتشَى من حوافرِها العُنْفُوَان
ضاعَ منها العِنَان
سقطَتْ في حَبَائِلهِ الأفْعُوان !

— ٢ —

إنتحَرَ الربَّانُ في السَّفينة

وزُلزلتْ رغمَ الضُّحى شوارعُ المدِينة
وانكفأتْ مع الضَّحايا الكبرياء
وجَفَّ في كلِّ الشَّرايينِ العَطاء
الموتُ عادَ نعمةَ الخائفِ تحتَ أسقُفِ الصِّرَاع
قد بُعثِرَ المتَاع
واستُنوِقَ الشُّجَاع
وديستِ الراياتُ والبيارق
وانزرعتْ تحتَ الجلُودِ الهشَّةِ الصَّواعِق
قد دُكَّتِ القلاعُ والصوامع

وانحسرتْ عن الوجوهِ الجهمةِ البَرَاقع
حين يعودُ الناعقونَ فَرْحةَ الأسماع
وحين يستوِي الظّلامُ والشُّعَاع
وحينَ يُدفنُ الأبطالُ في زَوَايا القاع
يسيطرُ الهَوانُ ، والمُجُونُ
والإملاقُ ، والضَّيَاع !

— ٣ —

ينامُ فوق الحَجَر المجْنون
يفترشُ الأشواكَ حَنِين

تنهرُهُ الأيام والسنُّون
وتنتشِي من دَمه ِ العُيون
والناسُ حولَه يعربدُونَ يسخَرُون
الناسُ ، والأحجارُ ، والعُيُون
هل يفهمونَ غُربةَ المجنْون ؟ !

عندما يترجل الابطال !

هل سقطَ الفرسانُ في متاهةِ الغرورْ ؟
وأُطفئتْ مجمرةُ البخور ؟
وعادَ من رحلتهِ المحرورُ والمقْرور ؟
أخائفونَ ؟ مِمَّ ؟
والرفاقُ ملءُ الساحِ في انتظار
صفّارةَ الإنذار

وفوق كلّ الأرضِ من خيولِنا العِتَاق
يرتقبُ الأبطال
ينغلقُ استفهامُنا
لكنَّه يعيشُ في صهيلِ الخَيْلِ
في السحاب !

* * *

قالوا لنا هُنا قد نَفَق الحِصَان
وأخرَستْ عواصفُ الرياحِ من هَدْهدةِ الأوتَار
وانطفأ النَّهار
وشُرِّدتْ حمائمُ الأشجَار
قالوا لنا قد مادتِ الأرضُ ، وغاصَتِ البحار

قالوا وكلُّ ما قالوهُ أجوفٌ غرّار
فالنارُ ما تزالُ تستحثُّ النّار
وفرحةُ الصِّغارِ ما تزالُ في انبهار

الكذبُ الجَبَان
وقمرُ الزّمان

وسيفُ (هولاكو) و (شهريار)
سوفَ تموتُ كلُّها في موجةِ الأعصار !

* * *

تمزّقي يا سُجفَ الكونِ ففي المِيناء
سفينةُ النجاة

قد عادتِ السفينةُ الكبرى وألقتِ المَرْساة
من بعدِ رَحلةِ المغيب
من بعدِ ما ضجّت بها الدُّروب

حرَثت البحارَ والعُباب
وقهرتْ جيشَ الظّلام والضّباب

في شُرُفاتِها فرسانُنا الغِضَاب
ينهمرُ الفرسانُ هَاهُمو
فوقَ الخيولِ ملأوا الأجْواء

وحطّموا الأقفالَ والأبواب
لن يحجبَ الغبارُ وهْجَ أسْدِ الغَابْ !

زخارف فوق أطلال عصر المجون !

سماويّةٌ أنتِ علويّةٌ
فوق أرضٍ من الطين ، والحقد ، والعهر
تُرعشها خيلُ كلٍّ المرابين
فوق منارات عصر المجون !

* * *

وقلبي الترابيُّ

تحصده أذرعُ النار في هيكل القحط
تخذله ذهلةُ الحلم
يرفضُهُ شجرُ الورد والياسمين !

* * *

سماويّةٌ والثرىُ مخصبٌ بالمهانات
ممتزجٌ بأنين الثكالى الغريقات
والكونُ منفىَ الحُثالات
مهترئٌ
غارقٌ في التوافهِ حتّى الجنون !

* * *

رأيتك فانهار جسرٌ من اليأس

وانفرجت في جبين الدُّنى
شرفاتُ المحبَّة
يا للفجاءاتِ ثم انكفأت بنجوى الطعين !

* * *

أحسك في غُربة الطير
مرتحلاً في قوافله سادراً
في ازدحام المرافئ صخَّابةً
أذكر اسمك عبر متاهات
وادي الظنون !

* * *

أعيشُكِ ، أحياكِ
في أنَّةِ العطرِ
في زهوةِ الفجرِ
في صرخة المنحنى
في تدفّقِ أمواج كلِّ العيون !

* * *

أحسُّك أعمق مما تكنُّ المشاعر والذكريات
أقرب من همسةِ الشكّ للحبِّ
من هزَّة الشوق في القلب
أنضر من فرحةٍ باليقين !

* * *

وأعرف أن التداني مُحالٌ
وأنّ اقتراب المسافاتِ ما بيننا
قدرٌ مستحيل
وأن انبهارَ العيون بومض الهوى
برزخٌ لا يهون !

* * *

وأعلم أنّ الزِّحام مضلٌ
وأنّ المنى وجعٌ مستبدٌ
وأنك عطشى إلى النهرِ
والنهرُ معتكرٌ ثائرٌ

والرمادُ يسربلُ

كلَّ الحصون !

* * *

دعيني أخوضْ في التُرّهاتِ

وحيداً غريباً

ولا تحفَلي إن رأيتِ المكبَّلَ

يُقتاد مرتهناً للمآسي

ويُلقى بأعماقِ تيه السجون !

* * *

سماويةٌ أنتِ علويّة
فوق أرضٍ من الطين ، والحقد ، والعهر
تُرعشها خيل كلّ المرابين
فوقَ منارات عصرِ المجونْ !

شاعر من عبقر ...!

في ذكرى ابن زيدون الالفية

عَبْقَرِيُّ الفِكْرِ ، فَذُّ الصَّوْلَجَانِ
سَاطِعٌ كالشَّمْسِ في أفْقِ الزَّمَانِ

حَاضِرٌ نَاءٍ ، مُطِلٌّ طَيْفُهُ
في صِرَاعٍ لِلْمَنَايَا وَالأَمَانِي

مُشْرَئِبٌ لِلْعُلَى في فَنِّهِ
رَنَّةَ الْعُودِ وأَنَّاتُ الْكَمَانِ

قَدْ تَدَانَتْ رَايَةُ الْمَجْدِ لَهُ
وَهْوَ لِلرَّايَةِ مَعْقُودُ الرِّهَانِ

هُوَ في الشِّعْرِ وفي النَّثْرِ مَعاً
قِمَّةٌ سَامِقَةٌ بَلْ قِمَّتَانِ

مَلَكِيٌّ الحُبِّ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا
يَجْتَدِي الْعَاشِقُ مِنْ عَذْبِ المَجَانِي

غَيْرَ أَنَّ الحُبَّ قَدْ عَلَّمَهُ
كَيْفَ يَمْشي فَوْقَ أَطْرَافِ السِّنَانِ

كَيْفَ يَغْدُو الْيَمُّ جَهْماً مَرْكباً
وَهَزِيمُ الرَّعْدِ أَصداءَ قِيَانِ !

* * *

أَيُّها الشَّاعِرُ قِفْ في طَرَبِ
لِفتَى الخُلْدِ ، وَصَيَّادِ الجُمانِ

أَرْهِفِ السَّمْعَ لِأَحْلَى وَتَرِ
دَاعَبَ الأَرْوَاحَ في أَحْلَى افتِنَانِ

صَاغَهُ شَادٍ سَمَاوِي الهَوَى
عَاشِقٌ عَتَّقَهُ عِشْقُ الحِسانِ

عَاشَ بالشّعْرِ وللشّعرِ صَدىً
فَهْوَ والشّعْرُ المُجَلّي تَوْأمانِ

إن مَضَتْ ألْفٌ على غُرْبَتِهِ
فَهْوَ عصريُّ الرُّؤى نبعُ مَعَاني

سَيِّدُ الحَرْفِ وكَمْ أبدع في
رُفْقَةِ الحَرْفِ بقلبٍ ولِسَانِ

الخَطيبُ المُعْتَلي هَامَ السُّها
والأديبُ المُجْتَلى في المِهْرَجَانِ

لَمْ يَكُنْ يَهْجُو وهَلْ يهجُو الّذي
صِيغَ مِنْ إشْعَاعِ نُورٍ وحَنَانِ ؟

مَلَكٌ في غـابَـةٍ مُوحِشَةٍ
لَمْ يُبَالي بِوَغَى الحِقْدِ العَوَانِ

حَسَـدُوهُ نَـابِغـاً مُبْتَكِراً
يَتَغَذَّى مِـن سَنَاهُ النيِّرانِ

غيَّبوا «يُوسُفَ» في السِّجنِ وكَمْ
عَصَفَ المأسُورُ بالسِّجْنِ المهانِ

فإذَا أزْهَارُه مِلْءُ الدُّنَى
وإذا أنوَارُهُ أنسُ المَكَـانِ

وَإذا الكَوْنُ عَلَى أمْدائِــه
مَسْرَحٌ لِلْخَالِدِ الحُرِّ العِنانِ!

* * *

أَيْقِظُوا النَّائِمَ مِنْ رقْدَتِه
فلَقَدْ أخْصَبَ زَهْرُ الأقحُوانِ

وسَلُوا «وَلاَّدَةً» فِيمَ نَأتْ
بعْدَ أنْ علَّتْهُ أكوابَ الدِّنانِ؟

وَيْحَهَا، رَغْمَ الأسَى ما شَعُرتْ
بِعَرِيقِ الجُرْحِ في القَلبِ المُعَاني

فَضَحَتْهُ نَظْرَةُ الشَّوْقِ لهَا
إنَّ عَيْنَيْ عَاشِقٍ فَاضِحَتَانِ

أَغْدَقَتْ ثُمَّ جَفَتْ نافِرَةً
يا لَهُ الظَّبيُ نَفُورٌ كُلَّ آنِ

فالجَوَى مَوْرِدُهُ بَعْدَ الجَنَى
والنَّوَى عَادَ بَدِيلاً للتَّداني

وَرُؤَى « الزَّهْراءِ » والحُسْنُ بِهَا
لَمْ تعُدْ غَيْرَ جَهَامٍ وَدُخَانِ

خَسِرَ الحُبَّ ولكِنْ كَسِبَتْ
دَوْلَةُ الشِّعْرِ أفانينَ الأغاني

وكذا العاشِقُ مَهْما انطلَقَتْ
رُوحُهُ فَهْوَ قَصِيٌّ مِثْلُ دَاني !

* * *

يا ابنَ زَيْدُونَ كِلانَا مُعْرِقٌ
في المَعَالي قد نَمَتْنَا المَرْوَتانِ

نَسَبُ الشِّعْرِ ، وَأَصْلابُ الذُّرَى
مِنْ « قُرَيْشٍ » وَصِرَاعاتُ الغَوَاني

وَمُعَانَاةُ اللَّيَالي حُلُماً
لَمْ يَزَلْ يُوغِلُ في تيهِ الأماني

كَمْ تَلاقَيْنَا بِظِلِّ المُنْحَنَى
وَتَنَشَّيْنَا شَذَى أَثْلٍ وبَانِ

يا فَتَى الإلْهَامِ قَدْ جَمَّعَنَا
رُغْمَ بُعْدِ العَهْدِ إعصار التَّوَاني

إنْ تَكنْ مَنْ لِذُرَى الغَيْبِ انتمَى
فَكِلانَا في المَدَى مُقْتَرِبانِ

مِثْلُكَ الآنَ أنَا مُرْتَهَنٌ
لِرَسِيسِ الشَّوْقِ ، خَفَّاقُ الجَنانِ

عَابِرٌ فَوْقَ بِسَاطٍ رَاعِشٍ
غَارِقٌ مَا بَيْنَ رَنَّاتِ مَثَانِي

ضَارِبٌ في القَفْرِ وَحْدِي أَبَداً
مَاخِرٌ في البَحْرِ مِنْ شَطٍّ لِثَانِي

ولِذَا عِشْتَ نَسِيجاً في دَمِي
وَنَشِيجاً يَتَلَظَّى في كِيَانِي !

* * *

حَدِّثُونَا عَنْ ثَرَى «أَنْدَلُسٍ»
حِينَ كُنَّا سادَةً في المِهْرَجَانِ

حِينَ كانَ النَّجْمُ حَصْباءً لَنَا
والدُّنى طَوْعَ إشاراتِ البَنَانِ

عَنْ دِيارِ الشَّمْسِ في نُضْرَتِها
عَنْ رُؤى العِزِّ وَوَادي الصَّوْلَجانِ

عَنْ ثَمانٍ مِنْ قُرونٍ عَبَرَتْ
ماجَ فيها السَّعْدُ مَوْفورَ الأمَانِ

الأذانُ السَّمْحُ كمْ دَوَّى بهـا
عَرَبيَّ اللَّحْنِ في أسْنى زَمـانِ

حَدَّثونا عنْ حَضاراتِ الأُلَى
أزْهَرَ الفَتْحُ بِهِمْ في المَعْمَعانِ

واذْكُروا الشعرَ فَكمْ أَوحَتْ لهُ
مِنْ فَريدِ القَولِ مُخْضَلَّ المَعاني

كمْ سَما فيها « ابنُ هاني » مُبْدِعاً
« والخَفَاجِيُّ » وأَقْطابُ البيـانِ

رُبَّ ذكرى أشعلَتْ من هِمَمٍ
رُبَّ نجوى بدّدتْ ظِلَّ هوانٍ !

* * *

أنتَ في « المغربِ » في أرضِ العُلى
مَرْبِضُ الأسْدِ ، وغابُ السِّنديانِ

أنتَ في « مُرّاكشِ » الشعر وما
أقربَ المثوى بها من « قيْروانِ »

صدَحَ التاريخُ في أبهائِها
يتحدّى صولةَ الباغي الجبانِ

حَيِّ شَعْباً في رُباها قَدْ سَمـا
زَاكِيَ العِرْقِ أصيلَ العُنْفُوانِ

صارَعَ الأحداثَ حتَّى انهزَمَتْ
واستَطَالَ التَّجَسُّمَ في رِفعَةِ شانِ !

* * *

يا رِفاقي في أصيلٍ أوْ ضُحَىً
وعَلَى مَرْفأ بُؤسَى أَوْ لَيَانِ

إجْمَعُوا الشَّمْلَ وسِيروا لِلعُلَى
فالحِمَى رَهْنُ صِراعٍ وامتِحانِ

وَ « فِلَسْطِينُ » جِراحٌ تَغْتَلِي
وثَرىً مُخْتَضِبٌ بالأرْجُوَانِ

أذكُروا « القُدْسَ » وما حَلَّ بها
فَهْيَ ما زَالَتْ بِكَفِّ الحَدَثانِ

هِيَ مَرْقى « المُصْطَفى » من قِدَمٍ
في سُرَاهُ وَهْيَ مِرْآةُ الجِنانِ

بَارَكَ اللهُ ثَرَاهـا وَسَمَتْ
بالنَّبيِّينَ فأكْرِمْ بالمَكانِ

هَلْ لها مِنْ وَثْبَةٍ عارِمَةٍ
تستعيدُ الحَقَّ مَرْهُوبَ الكيانِ ؟!

المشي على سطح

مع انتفاضةِ الآلامِ في الوريدْ
يا أخوتي ما زال ذلك الصديد
ينضحُ من جراحِ الوطنِ المكبّل العنيد
يزلزلُ المضاجعَ المُضامة
لنا شدي الهوانِ والندامة
زوبعةُ الأشعار ، والأوتارِ لم تُخلِّف نغَماً
لم يبرأِ الجرحُ فما زالَ دَماً مجمّداً وسَقَماً

تلكَ الجنازاتُ تُطلُّ من يمينٍ وشمال
ومرفأ الشمس — كما كانَ — بعيداً — لا يُنال
والسُّحُبُ الجُهْمُ وأوجُه المرَايا
تَعكِسُ ظِلّاً أدمعِ السَّبَايا
والقافزونَ ما يزالونَ معلّقينَ في الهواء
تربِطُهم سلاسلُ الخَطَايا
قد خرجُوا من فُرْجَةِ الزّوايا
يعلكونَ الكذبَ المُهَان
ويزرعونَ الزُّورَ والبُهتان
وقد مَشَوْا على الرُّؤوس
ركّعاً ، عرايا !!

* * *

أن تجْهَدَ في تبريرِ الأخطاء
أن تمشِيَ فوق سُطوحِ الماء
أن ترقصَ أعزلَ متّشِحاً بسلاحِ الوهْم
وتستخفيَ عبرَ الأضواء
أن تغْرقَ في تيّارِ الأهواءْ
أن تمضَغَ شَوْكَ السُّهْد
وتستنديَ قيظَ الصَّحْراء
أن تتلاشى فوقَ رَمادِ الريح
أن تستنبتَ مَطرَ الحقْد
وتحسبَه أزهارَ الحُلْم
أن تَنْدسَّ مع الأشباحِ الغُرَباء
وتُعانق مَقروراً أطيافاً هوْجاء

فحياتُك مَضْيَعَةٌ ، ورَمادٌ ، وهَباء !

* * *

مزّقتُ حنايا الليلِ ألومُك يا سَمْراءْ
وأجرّبُ أقنعتي سوْداءَ ، وحمراء
وأعانقُ أشرعتي في كَبِد الدّأماء
يا ناراً تُلهبُ أوردةَ الصحراء
يا ظمأً ، وسراباً ، وظلاماً ، ورياء
يا شَفَقاً يتلوّنُ في كبدِ الشمس الصَّفْراء
أعْفيتُكِ من لَوْمي ، أبغضتُكِ يا حَمْقاء !

تحية تونس

من ذُرى الآبادِ في ليلِ السنينَ الغائماتِ
من ضميرِ الكون من فرْحة أشواقِ الحياةِ
من همومِ الزمنِ المسحورِ من لحْنِ الرعاةِ
من ضُحىً ، من شفَقِ الأحلامِ ، من سِحْرِ الرُّواةِ
وُلِدتْ « تونس » أطيافَ جِنانٍ موحَياتِ
ولدتْ « تونس » نبراسَ عماليقَ هُداةِ
وُلدتْ عبرَ جِبالِ الثلجِ ، عبْرَ الجَمَراتِ

وُلدتْ من سِرِّ ألحانِ العَذارى الظامئاتِ
وُلدتْ من مَطَرِ الليلِ ، وفَجْرِ اللاَّهفاتِ
فوقَ مَهْدِ العبقريَّاتِ على جِسْرِ العُفاةِ
وُلدتْ كالرعدِ من إعصارِ كلِّ الحادِثاتِ
« تونسٌ » يا هتْفةَ المُصحِرِ رَهْنَ الفَلَواتِ

* * *

« تونسٌ » يا قَدَرَ العشَّاقِ يا كَهْفَ الغُوَاةِ
مجدُكِ التالدُ سِحريُّ الرؤى فذُّ العِظاتِ
صاغَه الفاتِحُ (حسَّان) فتىً العَزَمَاتِ
جاءَ في مَرْكبةِ الشمسِ وضيءَ اللَّمَحاتِ

كسرَ القيدَ على صَخرة إصرارِ الطّغاةِ
مارداً ينتزعُ الأمجادَ عبرَ الظُلُماتِ
فهفتْ رايتُه بُشرَى ، وأنغامَ حُداةِ
فإذا الوادِي اخضرارٌ عَبقريُّ النَفَحاتِ
« تونسٌ » يا مطلعَ الفردوسِ ، عطرَ الرّبَواتِ
درَّةُ الأطلسِ مِصباحُ النجومِ النيِّراتِ
يا مِراحَ الغيدِ ، يا وكْرَ نُسورٍ وبُزَاةِ
وانطلاقَ الأسْدِ في الغَابِ ، ومحرابَ الأباةِ
حارَ فيك الشعرُ .. مما نلتِ من ماضٍ وآتِ
فاعذُري الشاعرَ مغموراً بفيْض المعجزاتِ !

غادتي «شهرزاد»

من رأى (شهرزادْ) ؟
في القطيفِ المحبَّر ترفل
في صرخةِ الطيبِ ، في خفقاتِ الفؤاد
كاشتعالِ مدَى الفجر ، كالنغم البكرِ
كالحلمْ بعدَ السّهاد
إيه يا (شهرزاد)
قادتِ كلُّ قوافلِ عمرِ الهوى

في عصورِ المحبّين
في دَفقَاتِ الينابيعِ
نشوى من الزَّهوِ
مغمورةً بالوداد !

* * *

إرجعي (شهرزاد)
إرجعي فالحُداءُ القديمُ تعَالى
وظلُّ المساءِ تمدَّدَ
وانهارَ فوق أريكته (شهريار)
عاد طفلاً بريئاً
يخوضُ في النهرِ حرّاً

ويلتحفُ الأنكسار
سيفُه لم يعدْ مُصلتاً مشهَراً يتحدّى
صدُورَ الصبايا الصغار
سيفهُ عادَ من خشب الوردِ
في ذلَّة الأحتضارْ
أغمد السّيفَ منكسِراً ومشى حاسر الرأسِ
يَبكي ، ويَمْرَحُ
يُسقط حتى بقايا الأزارْ
قد تولّى النهار
إرجعي هي ذي الارْضُ ممطورة
ونسيمُ الزهور تماوجَ
في ردَهاتِ الأمل

والقمارى تلحنُ ـ ثمة ـ سكرى
فنونَ الغزل
إيه قصّي علينا حديثك
واسترسلي ، جُنّ فينا السأم
قد سُقينا المرارات في كُلّ كأس
وشُلّت أحاسيسُنا ـ في دُروب الأفاعي ـ مروّعة ـ
وشجانا الندم !

* * *

إيه يا (شهرزادْ)
هل تناءى المعاد ؟
وانطوتْ دورةٌ من ليالي الحصاد

هل سَرى العُقمُ فينا ؟
وسرُّ الخصوبةِ هل عادَ جدْباً ومحْلاً ؟
والجَنى عاد ظلاًّ ؟

« شهرزادُ » اسرعي
في (الرياضِ) التقينْنا
وكم يستبي القلبَ زهرُ (الرِّياض)

ومشَى الدِّفءُ في خافقينْنا نديّاً
يخدِّر ليلَ السُّهاد
إيه يا خُبزَ أمسي

وآنيةَ الزهرِ في رحلةِ العمر — منطوياً —
وعذابي الجَميل

لم يعدْ لي خَايل
لم يعدْ لي متَقيل
لم يعدْ غيرُ مأواكِ

لا تفجعِي فرَح القلبِ والرُّوحِ
لا تسخَري بالعليل
شَمِتَ الكلُّ فينا
وأضحَى الخليلُ لنا الخصمَ

فلتُسرِعي (شهرزاد)
هل تناءى المعاد ؟
إنني أنتظرْ
غادتي (شهرزادْ) !

يوم موعود

وانتظرناهُ يَوْمَنَا الموعُودا
وَهتفنا يا حَياةُ زُفّى النَّشيدا

لم يَعُدْ ذلك الصّفاء سراباً
عادَ جِسْراً على المَدَى مَمْدُودا

إنتظرناهُ يَوْمَنا فتَجَلَّى
فجرنا الرائع المُرَجَّى مَجيدا

رَغمَ كُلٍّ العَناءِ يأتلقُ الحُبُّ
فيَغْدُو شَمْلُ الشّقاءِ بَديدا

أيُّها الحُبُّ أنت إكسيرُ قلْب
تجْعلُ الضائِع الكئيبَ سَعيدا

تبْعَثُ الدِّفءَ في قُلُوبِ الحَيارَى
فإذا بالوصَالِ يجْلو العُهُودا

وإذا بالدُّنى أهازيجُ صُبْـح
مَرِحٍ يسْكبُ المَسَرَّةَ عِيدا

* * *

سألَتْني ألَمْ تُحيِّي هوَانا
أوَلَمْ تنْسِج القصَيدَ برُودا ؟

قُلْتُ إنِّي منَحْتُه لهَبَ الرُّو
حِ فعَادَ القَديمُ عِنْدي جَديدا

كل يَوْمٍ حِسِّي لَدَيْهِ وفِكري
كُلَّ يَوْمٍ أهديه عِقْداً نَضِيدا

هُوَ مِنِّي الدَّمُ الدَّفُوقُ بِشِرْيا
نِي ، وَدُنْياً أعِيشُها تَغْـــريدا

هُوَ طِفْلِي الجَميلُ أَرْعاه نُوراً
وأَراهُ لِعُمْرِ مَجْدِي خُلودا !

* * *

سَألتْنِي هَلْ أَرَّقَتْكَ سِهامُ الـ
غَدْرِ ؟ هَلْ أَوْهَنَتْ هَوانا العَنِيدا

قُلْتُ هَلاَّ سألت نَفْسَكِ قَبْلاً
فأنا ما أزالُ ثَبْتاً عَنِيـــدا

حُرَقُ الحُبِّ تُلْهِمُ العاشِقَ الشّا
عِرَ إبداعَه نَضيراً فَرِيدا !

* * *

سَألتْني ألَم تَرُعْكَ الصَّبَايا
بجنَاهُنَّ أعْيُناً وقُدُودا ؟
أوَلَمْ تَفْتَتِنْ بِغَيْرِ هَوَانا
لِتَرى فيهِ للفُؤادِ وَقُودا ؟
قُلْتُ أنّى ؟ وأنتِ قيثارَةُ النَّبْـ
ـعِ ، وَرَوْضٌ يُهدِي لِقَلْبي الوُرُودا

* * *

يا حَيَاتي ، وَفَرْحَتِي ، وَعَتادِي
في هَوَاكِ الكَبيرِ أقْضِي شَهيدا !

نابه الفكر

تحية « موسى كريم » صاحب مجلة « الشرق
في حفل تكريمه بسان باولو — البرازيل

نابهُ الفكرِ ، كالحَيَا للبلادِ
كالنَّدى ، كالرَّبيعِ ، كالأوراد
كشُعاع الصَّباح ، كالنغَم الدَّا
فىءِ ، كالحبّ موغلاً في الفؤاد
حيِّ « موسى » بنَشْوَةٍ ووداد
حيِّه في الأماجد الرّوّاد
واتلُ في الحَفْلِ سورةً من سَنا الخُلْـ
ـدِ وحلّق في مربع الآساد

عبقريٌّ سَمَا بِغُرٍّ سَجَايا
هُ وفيضٌ من هِمَّةٍ وجِهادِ

وأبيٌّ و « الشرق » بعضُ هَدَايا
هُ ، وكم في وِفاضِهِ من عَتَادِ

قد سَرَى كالشِّهاب في غَسَق اللي
لِ ، وكالعطرِ ، كالمُنَى ، كالضمادِ

أطلَقَ الرأيَ في المَهَاجِرِ حُرّاً
ربَّ رأي في قَبضةِ الأصفادِ

وَحدَهُ عاشَ كالفِرندِ صقيلاً
بارئاً من مَرارةِ الأحقادِ

نِصف قرْنٍ وزادهُ لَهَبُ الرُّو
حِ زكيّاً أكرمْ به من زَادِ
وهفَت نحوه القلوبُ تحيّـ
ـهِ بعيدٍ من أنضَرِ الأعيادِ !

* * *

كرّموه يكرّمِ العلـمُ والفضـ
ـلُ ، وتعلُو منارةُ الأمجَادِ
رجلُ الفكرِ نفحةٌ من عطايا اللـ
ـهِ ، دنيا من عالِمٍ وقّادِ
مَشرعٌ من مفاخرٍ تتهادَى
في ضميرِ الأجيالِ في كلّ نادِي!

* * *

كرّموه مُناضلاً وَهَبَ العمْـ
رَ سَخيّاً والعُمرُ ذخرُ الجَوَادِ

واقبسُوا منه شُعْلةَ المُثُل العُلْـ
يا ، جناحاً من دوحةِ الأجدادِ

لا تقُولُوا حَظُّ الأديب سَرَابٌ
هوَ إرثُ الرُّوَّاد للــرُّوَّادِ !

* * *

عشتَ « موسى » مضمَّخاً بشذى النُّبْـ
ل ، مُدلاً بحنكــةِ الأمجَادِ

عشتَ للمجْدِ ، للكرامة طَوْداً
بَاسِقاً ، من رَوَاسِخِ الأطْوادِ !

كلمة ... عن الشعر

يتحدث كثيرون عن أزمة للشعر العربي ، ويكثر المتبرِّمون أيضاً بإطار الشعر ، ويزعم آخرون أن شكل الشعر الحر ما هو إلا ترقيع ينبغي أن يُرفض ... لينطلق الشاعر في كتابة الشعر دون أي قيد ، وبأي أسلوب يرتضيه .

ونحن إذا سايرنا هذا الرأي كان علينا أن نتهم كل شعر التراث ، وأن نحاكم كل مواهب شعرائنا الأقدمين ، وأن نسقط من العيون جميع الأعمال النقدية التي خلفها لنا نقاد جهابذة أعلام كان لهم في خدمة الشعر العربي دور لا ينكر ، وجهد لا يُجحد ، وأن نتناسى بالتالي الجهود الرائعة التي بذلها شعراؤنا المحدثون المجددون .

والحقيقة أن شعرنا لا يعاني أزمة شكل وإطار ولكنه يعاني أزمة مضمون وأزمة حرية . فنحن محتاجون إلى أن نعمّق مفهوم المضمون ، وأن نجعل مجال القول للشاعر — والفكر عموماً — رحباً واسعاً ، وأن نميّز مكانة الشاعر الذي هو حامل رسالة ، ومشعــل أمــة ، وقائد ركب ،

وحادي مسيرة ؛ حتى يجيء عطاؤه – خصباً موفوراً ، وتأثيره بالغاً مدى النفس البشرية ، متغلغلاً في أعماقها ، منسكباً في تضاعيفها .

الشعر هو التزام بقضايا الفكر ، والحرية ، والإنسان ، ولذلك فهو فوق الطروحات والمواصفات ، والشعارات ، لأنه ابتداع للمثل العليا ، وتعبير عن رقي الإنسانية .

فإذا التزم الشاعر بقضية الشعر جاء إنتاجه محلقاً ، وفنه عبقرياً ولا شك أن النماذج العليا من شعرائنا المعاصرين بثقافتهم وتجاربهم – قد أصبح لهم دورهم في تكثيف رؤيتنا للحضارة بأنماطها المتعددة ، وتعميق أشواقنا للمستقبل الأفضل .

وأملنا أن يجيء جيل الغد ، أنضج تجربة ، وأعمق رؤية ، وأوفر ثقافة .

حسن عبدالله القرشي

فهرس